(١)

وَاجِبُ المُعَلِّمِ والمُتَعَلِّمِ

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، القَائِلِ فِي كِتَابِهِ العَظِيمِ : {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ} ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلـهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ العَلِيمُ الحَكِيمُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ سَيِّدَنَا وَنَبِيَّنَا مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الكَرِيمُ ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ الغُرِّ المَيَامِينِ ، ومَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

وَبَعْـدُ :

فَنَحْنُ عَلَى مَشَارِفِ عَامٍ دِرَاسِيٍّ جَدِيدٍ ، نَسْأَلُ اللهَ (عز وجل) أَنْ يَكُونَ عَامَ جدٍّ ، وَاجْتِهَادٍ ، وَتَفَوُّقٍ لأَبْنَائِنَا جَمِيعًا ، وَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّ الإِسْلامَ قَدْ أَعْطَى العِلْمَ أَوْلَوِيَّةً كُبْرَى ، وَعِنَايَةً خَاصّةً ، فَهُوَ حَيَاةُ القُلُوبِ ، وَمِصْبَاحُ الأَبْصَارِ ؛ إِذْ يَبْلُغُ العِلْمُ بِصَاحِبِهِ مَنَازِلَ الأَخْيَارِ ، والدَّرَجاتِ العَالِيَةَ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ ، وَبِهِ تُوصَلُ الأَرْحَامُ ، وَيُعْرَفُ الحَلالُ والحَرَامُ ، يَرْفَعُ اللهُ بِهِ قَوْمًا ، وَيَجْعَلُهُمْ فِي الخَيْرِ قَادَةً وَأَئِمَّةً ، تُقْتَبَسُ آثَارُهُمْ وَيُقْتَدَى بِفِعَالِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ} .

وظَهَرَتْ عِنَايَةُ الإِسْلامِ بِالعِلْمِ والتَّرْغِيبِ فِيهِ مَعَ أَوَّلِ مَا نزل من الذكر الحكيم ، حيث يقول الحق (سبحانه وتعالى) : {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ * عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} ، فَأَوَّلُ أَمْرٍ نَزَلَ بِهِ الوَحْيُ هُوَ الأَمْرُ بِالقِرَاءَةِ الَّتِي هِيَ أَوَّلُ أَبْوَابِ العِلْمِ ، ثُمَّ تَأْتِي الإِشَارَةُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى القَلَمِ الَّذِي هُوَ وَسِيلَةُ تَدْوِينِ العِلْمِ وَنَقْلِهِ

؛ وَفِي هَذَا تَنْبِيهٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً عَلَى بَيَانِ فَضْلِ العِلْمِ ، والتَّرْغِيبِ فِي طَلَبِهِ ، وَالحَثِّ عَلَيْهِ .

فَلِلْعِلْمِ مَقَامٌ عَظِيمٌ ، وَلأَهْلِ العِلْمِ مَكَانَتُهُمُ العَالِيَةُ ، فَلَوْلا العِلْمُ والعُلَمَاءُ لَضَلَّ النَّاسُ، فَالعِلْمُ نُورٌ يُبْصِرُ بِهِ صَاحِبُهُ حَقَائِقَ الأُمورِ ، وَالعُلَمَاءُ لِلنَّاسِ كَالنُّجُومِ فِي السَّمَاءِ ، يُهْتَدَى بِهِمْ ، قَالَ تَعَالَى : {أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَى إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الأَلْبَابِ} ، فَكَأَنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَسَّمَ النَّاسَ فِي هَذِهِ الآيَةِ إِلَى قِسْمَيْنِ : عَالِمٍ ، وَأَعْمَى ؛ فَجَعَلَ العِلْمَ فِي مُقَابِلِ العَمَى ، فَالبَصَرُ هُنَا بَصَرُ العِلْمِ والمَعْرِفَةِ ، وَلَيْسَ بَصَرَ الرُّؤْيَةِ ، قَالَ تَعَالَى : {فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ} ، وَمِنْ ثَمَّ أَعْلَى القُرْآنُ الكَرِيمُ مِنْ شَأْنِ العِلْمِ ، فَعَبَّرَ عَنْهُ بِالسُّلْطَانِ ، فَقَالَ تَعَالَى : {الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ آمَنُوا} .

وَلَقَدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ (صلى الله عليه وسلم) مَكَانَةَ العِلْمِ ، وَفَضِيلَةَ طَلَبِهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا ، سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ ، وَإِنَّ الْمَلائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الأَنْبِيَاءِ ، وَإِنَّ الأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلا دِرْهَمًا ، وَرَّثُوا الْعِلْمَ ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ) ، وعَنْ أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) ، قَالَ : قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) : (يَا أَبَا ذَرٍّ : لأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ

اللَّهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مِائَةَ رَكْعَةٍ ، وَلأَنْ تَغْدُوَ فَتَعَلَّمَ بابًا مِنَ الْعِلْمِ – عُمِلَ بِهِ أَوْ لَمْ يُعْمَلْ – خَيْرٌ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ أَلْفَ رَكْعَةٍ) .

وَيَقُولُ الإمامُ عَليٌّ (رَضِيَ اللهُ عَنْهُ) : (العِلْمُ خَيْرٌ مِنَ المَالِ ؛ العِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ المَالَ ، وَالعِلْمُ حَاكِمٌ والمَالُ مَحْكُومٌ ، والمَالُ تُنْقِصُهُ النَّفَقَةُ، والعِلْمُ يَزْكُو بِالإِنْفَاقِ) .

وِلِلْعِلمِ أَخْلاقٌ عَظِيمَةٌ ، وَآدَابٌ كَرِيمَةٌ ، يَنبَغِي أَن يَتَحَلَّى بِهَا طَالِبُهُ وَمُعَلِّمُهُ عَلَى حَدٍّ سَوَاءٍ ، مِنْ أَهَمِّهَا : الإِخْلاصُ للهِ (عز وجل) ؛ فَيَجِبُ عَلَى المُعَلِّمِ وَالمُتَعَلِّمِ أَنْ يَبْتَغِيَا بِالعِلْمِ وَجْهَ اللهِ (عَزَّ وَجَلَّ) ، وَأَنْ يَحْذَرَا مِنَ الرِّيَاءِ والسُّمْعَةِ ، فَإِنَّ لِلْعِلْمِ شَهْوَةً خَفِيَّةً ، إِذَا تَمَكَّنَتْ مِنْ قَلْبِ العَبْدِ سَيْطَرَ عَلَيْهِ حُبُّ الظُّهُورِ ، وَطَلَبُ الشُّهْرَةِ ، وَالرَّغْبَةُ فِي التَّصَدُّرِ ، وَقَدْ يُؤَثِّرُ ذَلِكَ فِي السُّلُوكِ ، فَيَسْتَعْلِي عَلَى النَّاسِ ، وَلَقَدْ حَذَّرَ نَبِيُّنَا (صلى الله عليه وسلم) مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ ، فَقَالَ (صلى الله عليه وسلم) : (مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ ، أَوْ لِيُبَاهِيَ بِهِ الْعُلَمَاءَ ، أَوْ لِيَصْرِفَ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَهُوَ فِي النَّارِ) .

وَمِنْهَا: التَّوَاضُعُ ، وَقَدْ كَتَبَ مَالِكٌ إِلَى الرَّشِيدِ : (إِذَا عَلِمْتَ عِلْمًا ؛ فَلْيُرَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ، وَسَكِينَتُهُ ، وَسَمْتُهُ ، وَوَقارُه ، وَحِلمُهُ) ، وَلِذَا قَالَ سَيِّدُنَا عُمَرُ (رضي الله عنه): (تَعَلَّمُوا العِلْمَ ، وَتَعَلَّمُوا لَهُ السَّكِينَةَ وَالوَقَارَ) ، إِذْ لا يَسْتَقِيمُ العِلْمُ مَعَ الكِبْرِ ، وَلا يُؤْتَى مَعَ المَعْصِيَةِ ؛ إِنَّمَا يُؤْتَى بِطَلَبِهِ ، وَيَزْدَادُ بِالتَّقْوَى ، حَيْثُ يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ} ، وَقَدْ قَالُوا : (وَمَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ ، عَلَّمَهُ اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ) ، فَالعَمَلُ شَرْطٌ لِتَحَقُّقِ العِلْمِ

الرَّبَّانِيِّ اللَّدُنِّيَّ ، حَيْثُ يَقُولُ الحَقُّ سُبْحَانَهُ فِي شَأْنِ العَبْدِ الصَّالِحِ فِي سُورَةِ الكَهْفِ : {فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنّا عِلْمًا} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلاًّ آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ فِي حَقِّ سَيِّدِنَا يَحْيَى (عليه السلام): {يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ عَلَى لِسَانِ المَلائِكَةِ : { قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ .

وَمِنْهَا: التَّحَلِّي بِالوَقَارِ ، حَيْثُ إِنَّ لِلْعِلْمِ رَوْنَقَهُ ، وَهَيْبَتَهُ ، وَجَلالَهُ ، وَمِنْ عَلامَاتِ ذَلِكَ الاهْتِمَامُ بِالمَظْهَرِ الحَسَنِ ، والنَّظَافَةُ ، والتَّطَيُّبُ ، والابْتِعَادُ عَنْ مَجَالِسِ اللَّغْوِ ، يَقُولُ (صلى الله عليه وسلم) : (إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ ، وَالاقْتِصَادَ ، جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ) .

وَالعَالِمُ لِلسَّائِلِ كَالطَّبِيبِ لِلْمَرِيضِ ، لا بُدَّ أَنْ يَحْنُوَ عَلَيْهِ ، وَأَنْ يَأْخُذَ بِيَدِهِ إِلَى سَبِيلِ الرَّشَادِ ، وَيبيِّنَ لَهُ طَرِيقَ السَّدَادِ ، عَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ الحَكَمِ ، قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أُصَلِّي مَعَ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) إِذْ عَطَسَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ ، فَقُلْتُ : يَرْحَمُكَ اللَّهُ ، فَرَمَانِي الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقُلْتُ : وَاثُكْلَ أُمَّاهُ، مَا شَأْنُكُمْ تَنْظُرُونَ إِلَيَّ؟ فَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى أَفْخَاذِهِمْ ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُمْ يُصْمِتُونِي سَكَتُّ ، فَلَمَّا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) ، فَبِأَبِي هُوَ وَأُمِّي ، مَا رَأَيْتُ مُعَلِّمًا قَبْلَهُ وَلا بَعْدَهُ أَحْسَنَ تَعْلِيمًا مِنْهُ ، وَاللَّهِ مَا قَهَرَنِي ، وَلا ضَرَبَنِي ، وَلا شَتَمَنِي ، قَالَ : (إِنَّ هَذِهِ الصَّلاَةَ لاَ يَصْلُحُ فِيهَا شَيْءٌ مِنْ كَلاَمِ النَّاسِ ، إِنَّمَا هِيَ التَّسْبِيحُ ، وَالتَّكْبِيرُ ، وَالتَّهْلِيلُ ، وَقِرَاءَةُ الْقُرْآنِ...) .

كَمَا أَنَّ هُنَاكَ جُمْلَةً مِنَ الأُمُورِ يَجِبُ أَنْ يَتَحَلَّى بِهَا طَالِبُ العِلْمِ ، مِنْ أَهَمِّهَا:

*الحِرْصُ على التَّعَلُّمِ ، وَالمُوَاظَبَةُ عَلَيْهِ دُونَ كَسَلٍ ، فَلا يَضِيعُ وَقْتُهُ فَيمَا لا يُفِيدُ ، وَقَدْ قِيلَ : الْعِلْمُ لا يُعْطِيكَ بَعْضَهُ حَتّى تُعْطِيَهُ كُلَّكَ ، وَعِنْدَمَا سُئِلَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ (رحمه الله) : كَيْفَ رَغْبَتُكَ لِلْعِلْمِ؟ قَالَ : أَسْمَعُ بِالكَلِمَةِ مِمَّا لَمْ أَسْمَعْهُ ، فَتَوَدُّ أَعْضَائِي أَنَّ لَهَا أَسْمَاعًا تَتَنَعَّمُ بِهِ كَمَا تَنَعَّمَت الأُذُنُ ، فَقِيلَ لَهُ : كَيْفَ حِرْصُكَ عَلَيْهِ؟ قَالَ : حِرْصُ الجَمُوعِ المَنُوعِ فِي بُلُوغِ لَذَّتِهِ لِلْمَالِ ، فَقِيلَ : كَيْفَ طَلَبُكَ لَهُ ؟ قَالَ : طَلَبُ المَرْأَةِ المُضِلَّةِ وَلَدَهَا لَيْسَ لَهَا غَيْرُهُ .

* تَوْقِيرُ المُعَلِّمِ وَاحْتِرَامُهُ ، فَلا يَتَجَرَّأُ الطَّالِبُ عَلَى مُعَلِّمِهِ بِقَوْلٍ ، أَوْ فِعْلٍ ، قَالَ الشَّافِعِيُّ (رحمه الله) : كُنْتُ أُصْفِحُ الوَرَقَةَ بَيْنَ يَدَيْ مَالِكٍ (رحمه الله) صَفْحًا رَفِيقًا هَيْبَةً لَهُ ؛ لِئَلاَّ يَسْمَعَ وَقْعَهَا ، وَقَالَ الرَّبِيعُ (رحمه الله) : واللهِ مَا اجْتَرَأْتُ أَنْ أَشْرَبَ المَاءَ والشَّافِعِيُّ يَنْظُرُ إِلَيَّ ؛ هَيْبَةً لَهُ ، ولله دَرُّ شَوْقِي حَيْثُ قَالَ :

قُمْ للمُعَلِّمِ وَفِّهِ التَّبْجِيلاَ *** كَادَ المُعلمُ أن يكونَ رسُولاَ

لا شَكَّ أَنَّنَا فِي حَاجَةٍ مَاسَّةٍ إِلَى تَحْصِيلِ جَمِيعِ العُلُومِ الَّتِي نَعْمُرُ بِهَا دُنْيَانَا بِقَدْرِ حَاجَتِنَا إِلَى العُلُومِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا أَمْرُ دِينِنَا ، فَلَيْسَ لَدَيْنَا رَفَاهِيَةُ الوَقْتِ ، حَيْثُ إِنَّ عَمَلِيَّةَ البَحْثِ العِلْمِيِّ والإِبْدَاعِ والابْتِكَارِ أَصْبَحَتْ وَاجِبَ العَصْرِ ، لَعَلَّنَا نَلْحَقُ بِالرَّكْبِ، أَوْ نُدْرِكُ بَعْضَ مَا فَاتَنَا مِنْ طَرِيقِ المَسِيرِ ، فَعَلَى كُلٍّ مِنَّا أَنْ يَتَحَلَّى بِرُوحِ الإِبْدَاعِ ، والسَّبْقِ ، وَالطُّمُوحِ ، أَوْ عَلَى أَقَلِّ تَقْدِيرٍ أَنْ يَكُونَ لَدَيْنَا الرَّغْبَةُ فِي العَوْدَةِ بِالأُمَّةِ إِلَى زَمَنِ الكِبَارِ مِنْ آبَائِنَا وَأَجْدَادِنَا الذَّين رَحَلُوا فِي طَلَبِ العِلْمِ ، وَاجْتَهَدُوا فِي تَحْصِيلِهِ حَتَّى تَبَوَّؤُا مَكَانَ الصَّدَارَةِ ، وَصَارُوا أَعْلامًا

فِي كُلِّ الفُنُونِ والعُلُومِ الَّتِي تَصَدَّرُوا فِيهَا ، وَالَّتِي صَارَتْ نَبْعًا صَافِيًا ، وَنِبْرَاسًا مُلْهِمًا لِجَمِيعِ الأُمَمِ وَالحَضَارَاتِ مِنْ بَعْدِهِمْ ، وَيَكُونُ شِعَارُنَا فِيهِ:

نَبْنِـي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا *** تَبْنِـي ، وَنَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا

فَلا بُدَّ إِذًا لِلْعَالِمِ وَلِطَالِبِ العِلْمِ أَنْ يَتَحَلَّيَا بِكَرِيمِ الأَخْلاقِ ، وَأَنْ يَكُونَ عَمَلُهُمَا مُتَّفِقًا مَعَ قَوْلِهِمَا حَتَّى يُؤَثِّرَ ذَلِكَ فِي المُجْتَمَعِ ، فَعِنْدَمَا رَبَطَت الأُمَّةُ بَيْنَ العِلْمِ والعَمَلِ والأَخْلاقِ ، عَاشَتْ فِي عِزَّةٍ وَرِفْعَةٍ بَيْنَ الأُمَمِ ، وَحَيْثُ كَانَ الخُلُقُ وَالعِلْمُ ، كَانَ الرُّقِيُّ، وَكَانَ الازْدِهَارُ .

أقولُ قَوْلِي هَذَا ، وأستغفرُ اللّهَ لِي ولكُمْ .

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى خَاتَمِ النَّبِيِّينَ والمُرْسَلِينَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ ، وَمَنْ تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ .

إخوةَ الإسلام:

إِنَّ الإِسْلامَ أَعْلَى مِنْ شَأْنِ العِلْمِ والعُلَمَاءِ عَلَى اخْتِلافِ تَخَصُّصَاتِهِمْ ، فالعلم النافع يشمل كُلِّ العُلُومِ الَّتِي تَنْفَعُ النَّاسَ فِي شُئُونِ دِينِهِمْ أَوْ شُئُونِ دُنْيَاهُمْ ، وَلِذَا نَرَى أَنَّ قَوْلَ اللهَ (عز وجل) : {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} جَاءَ فِي مَعْرِضِ الحَدِيثِ عَنِ العُلُومِ الكَوْنِيَّةِ ، حَيْثُ يَقُولُ سُبْحَانَهُ : {أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ * وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ} ، وَيَقُولُ سُبْحَانَهُ : {إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلاَفِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ

الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} .

كَمَا أَنَّ المُرَادَ بِالعِلْمِ النَّافِعِ كُلُّ مَا يَحْمِلُ نَفْعًا لِلنَّاسِ فِي حَيَاتِهِمْ وَمَعَادِهِمْ ، فِي العُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ ، أَوِ العَرَبِيَّةِ ، أَوْ عِلْمِ الطِّبِّ ، أَوِ الصَّيْدَلَةِ ، أَوِ الفِيزْيَاءِ ، أَوِ الكِيمْيَاءِ ، أَوِ الفَلَكِ ، أَوِ الهَنْدَسَةِ ، أَوِ الطَّاقَةِ ، وَسَائِرِ العُلُومِ وَالمَعَارِفِ ، فَالعِلْمُ أَسَاسُ الشَّخْصِيَّةِ الوَطَنِيَّةِ المُبْدِعَةِ المُبْتَكِرَةِ ، وَدَلالَةُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ} ، فَكَلِمَةُ (الذِّكْرِ) أَعَمُّ مِنْ أَنْ تُقْصَرَ عَلَى عِلْمٍ بِعَيْنِهِ ، فَالأَمْرُ مُتَّسِعٌ لِكُلِّ عِلْمٍ نَافِعٍ ، وَمِمَّا لا شَكَّ فِيهِ أَنَّنَا فِي حَاجَةٍ إِلَى جَمِيعِ العُلُومِ الَّتِي نَعْمُرُ بِهَا دُنْيَانَا كَحَاجَتِنَا إِلَى العُلُومِ الَّتِي يَسْتَقِيمُ بِهَا أَمْرُ دِينِنَا .

وَلَعَلَّ وَاجِبَ الوَقْتِ وَفَرِيضَتَهُ لِلعُلَمَاءِ فِي هَذِهِ الأَيامِ هُوَ تَصْحِيحُ المَفَاهِيمِ الخَاطِئَةِ، مَعَ تَصحيحِ الصُّورَةِ الذِّهْنِيةِ المَغْلُوطَةِ عَن الإِسْلامِ وَالمُسْلِمينَ ، وَالعَمَلُ عَلَى نشرِ الفِكْرِ الإِسْلاَمِيِّ الصَّحِيحِ .

نسأل الله (عز وجل) أن نكون من هؤلاء العدول ، وأن يعلمنا ما جهلنا ، وأن يذكرنا ما نسينا ، وأن يجعل لنا من أمرنا رشدًا .